استدعاء القصص القرآنية في الشّعر الأموى

الدكتور مهدي عابدي جزيني*
أستاذ مساعد بجامعة أصبهان

الملخّص
إنّ من ظواهر الاستدعاء التّراثي في الأدب، استدعاء الشّخصيات القرآنية، حيث يحـــاول الأدب امتصاص القصّة القرآنية، ثمّ تحويرها ممّا يحقق له أهدافه المرجوّة مراعياً جلالة النصّ الأصلي.
أراد الشعراء الأمويّون أن يستمدّوا من التّراث الإسلامي ولاسيّما القصص القرآنية ليعطوا بُعداً دلاليا للواقع السياسي و الإجتماعي في مجتمعهم.
إنّ هذا المقال قد احتوى على مباحث في توظيف القصّة القرآنية في الشّعر الأمـــوي مـــن خلال عدد من القصائد التي استقت مادّتها من القرآن مشيراً إلى مدى تعاملها بالقـــصص القرآنية، تضاهي أحوالهم الإجتماعية والسّياسية.
واعتمدنا في دراستنا هذه منهجاً وصفيا، قائماً على التّحليل والاستنتاج في تناول الطّـــرق الفنية التي سلكها الشعراء الأمويون في توظيف الشخصيات القرآنية و قد حرصنا أن تقوم الدّراسة على منهج انتقائي للنّماذج الشعرية الجيّدة في الحقبة الأموية.
الكلمات الدليلية: الشعر الأموي، القصص القرآنية، استدعاء.

*.E-mail: mehdiabedi1359@yahoo.com
تأريخ الوصول: ١٦/ ٠٣/ ١٣٩١ ؛ تأريخ القبول: ٠٧/ ٠٦/ ١٣٩١.

المقدمة

لقد جاء القرآن الكريم داعيًا إلى الهداية والرّشاد، بأساليبَ شتّى؛ فتارةً بالوعد والوعيد، وتارةً بالإقناع العقلي، وتارةً ثالثة بوخز الضّمير والوجدان، و رابعةً بتوجيه الفطرة إلى حقيقتها، وخامسةً بالإعجاز بشتّى ألوانه، وأحياناً كثيرة: بأسلوب القَصص[١] الذي هو أقرب الوسائل التّربوية إلى فطرة الإنسان وأكثر العوامل النفسية تأثيرًا فيه وذلك لما في هذا الأسلوب من المحاكاة لحالة الإنسان نفسه، فتراه يعيش بكلّ كيانه في أحداث القصّة، وكأنّه أحد أفرادها.

١. القصص القرآنية في الشعر

يكمن وراء توظيف القصّة القرآنية في الشعر دوافع منها:

١. أنّ القرآن في قسم منه هو تراث قصصي، لذا وجد بعض الشعراء أن تأصيل الشعر يقتضي العودة إلى الموروث القرآني والإفادة منه في التأسيس لقصّة إسلامية وعربية خالصة.

٢. أنّ التراث القرآني يشكل جزءاً كبيراً من ثقافة أبناء المجتمع العربي المسلم، لذا فإنّ أية معالجة للقرآن هي معالجة للواقع العربي وقضاياه.

٣. إنّ القصص هذه تحفز الإنسان على السّير في خُطى الخير والرقيّ، فوجد فيها الشعراء خير الأمثلة لحثّ الناس على تلك القيم.

٤. إنّ هذه القصص تحيى الأمل في القلوب لما في قصصها من تصوير المصاعب التي يمرّ بها الأبطال ورغم ذلك تكون النّتيجة إيجابية ولِصالح الخير والخيرين.

٥. القصص هذه تحتوي على كثير من المفاهيم التي لو وظّفت في الشعر لأدّت من المعانى ما لم تستطع تأديته الجمل الكثيرة وبذلك تضيف الثّقل الفني للشعر (انظر: زايد، ١٩٩٧م، ٧٥).

ومن هنا نستطيع أن نقول أنّ الاقتباس القرآني- ولاسيّما القصص القرآنية- يزيد في فاعلية النصّ تأثيراً وإبداعاً فترتاح إليه النّفس وتلتفت إلى السّحر المبدع الذي ألفته في آيات الذكر الحكيم.

وما الاستشهاد أو الاحتجاج المندرج في صُلب الخطاب الأدبي إلا حضور للنص القُرآني في ذهن الشاعر وإلحاحه على اتخاذ الموقع الملائم في البُنية الشعرية وإسهامه في تنشيط فاعليّة النصّ الشعري والتأثير إيجابياً في المتلقّين.

وقد استفاد الشعر الأموي من هذه القصص استفادة جسيمة،حيث عمد الشعراء إلى توظيف بعض شخصيّاتها أو جانب من جوانبها في تكوين الصّور الفنية التي تخدم أفكارهم الشخصية و هو ما يتّضح فيما يلى:

٢. قصة آدم (ع)

أشار القرآن الكريم في عدّة مواضع منه إلى قصة آدم و خروجه و زوجه من الجنّة بعد أن أغواهما إبليس فأعطاه ومن ذلك قوله تعالى: "**وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذه الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالمِينَ* فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ**" (البقرة: ٣٥-٣٦).

والفرزدق الذي يعدّ واحداً من أكثر الشّعراء العصر تأثّراً بالقرآن يربط أبياته- التي أنشدها بعد طلاقه للنّوار زوجته- بين حالته بعد الطّلاق وحالة آدم بعد خروجه من الجنّة، ليصوّر الحالة النفسية التي يعيشها، فهو يقول:

«نَدِمْتُ نَدامةَ الكسَعِيّ[٢] لَمّا غَدَتْ منّى مُطَلَّقَةً نوارُ
وَكانَتْ جنَّتِى فَخَرجتُ منهَا كآدَمَ حين لَجَّ به الضِّرارُ
وَكُنْتُ كَفاقِىءِ عَيْنَيْهِ عَمْداً فَأَصْبَحَ مَا يُضِيءُ لَهُ النّهَارُ»

(الفرزدق،١٩٧٣م، ج١: ٢٩٤؛ الأصفهاني،٢٠٠٢م، ج٢١: ٢٩٠؛ المبرّد، ١٣٢٣هـ.ق، ج ١:٧٢).

يقول الشاعر: لقد ندمت يوم طلاق زوجتي نُوار، ندم الكسعيّ (و هو رجل يضرب به المثل في النّدامة). و غادر زوجتي نوار كما ترك الجنة آدم نادماً. و أصبحت كالأعمى الذي فقأ عينيه بيديه فأصبح لايشاهد ضوء النهار. (فطلّقها وهو كاره لهذا الأمر وأشهد فقيه البصرة الحسن البصري على طلاقها ... وكان الفرزدق قد جاوز الثمانين من العمر...).

يتأمّل الفرزدق قصّته، فيراها تضاهي قصة آدم (ع) و يحاول أن يرمز إلى حاله بحال آدم (ع)، حين خرج من الفردوس وابتعد عن المكان المحبّب إليه وآثر المنفى و الغربة في الدّنيا و هو مثال صادق وجاهز هيّأه القرآن للفرزدق كي يستعيره لحاله.

هذه الإشارة العابرة والإستطرادية للقصّة القرآنية تتلائم تلائماً تامّاً مع مضمون العامّ للأبيات حيث تريد المآسي والمعاناة الكثيرة التي عانتها البشرية منذ هبوطها وهذا النوع من الاستحضار و الاستخدام الرّمزي يكشف لنا الطاقة الرّمزية الهائلة للقصّة في التّعبير عن مثل هذا المضمون.

وفي قصيدته التي يهجو بها إبليس، يشير الفرزدق إلى قصة خروج آدم وذلك حين أخذ يستعرض مخازي إبليس مع من أغواهم. يقول الفرزدق:

«وآدَمَ قَد أخرَجتَهُ و هُوُ ساكنٌ وزَوجَتَهُ من خَير دارِ مُقامِ
وأقسَمْتَ يا إبليس أنّك ناصِحٌ لَهُ وَ لَها إقْسامَ غَير إثامِ
فَظَلّا يخيطانِ الوِراقَ عَليهما بأيديهما من أكلِ شرٍّ كلامِ»

(الفرزدق،١٩٧٣م، ج٢: ٢١٤، البغدادي، ١٤١٨ه.ق، ج٤: ٤٢٤).

إنه أخرج آدم من الجنّة وكان يعيش فيها مطمئناً مع زوجته. إنّه أقسم لهما بأن يأكلا من الشّجرة وأنه ليس كاذباً في قسمه. ثمّ يقول إنهما تعرّيا إثر نصيحته و ظلّا يستران جسديهما بأوراق الجنّة وأنت لا تحفل و لا تعبأ بهما.

أشار الشاعر إلى الخطيئة التي اجترحها آدم، أبوالبشر إذ أدّت هذه الخطيئة إلى خروجه من الجنّة و إبعاده عن رحمة الله الرّحيبة.

٢-١. إبليس

إنّ شخصية إبليس التي تعدّ إحدى شخصيات آدم القرآنية هي أنموذج للإغواء والضّلال وقد اقترنت بهذه الصفة عند شعراء العصر الأموى.

يقول العرجي يهجو امراةً:

«وزير لَهَا إبليس فِى كلِّ حَاجَةٍ لَهَا عِندَ مَا تَهوى لَهُ يتمثَّلُ»

(العرجي،١٩٥٦م، ١٥٢).

و يقول جرير مفتخراً:

«نَحْنُ الّذينَ ضربْنا النَّاسَ عن عُرُضٍ حتَّى اسْتَقَامُوا وهُمْ أتباعُ إبليسِ»

(جرير، ١٩٨٥م، ج١: ١٢٩).

يشير جرير إلى أنّ قومه قادوا الناس إلى الهدى بعد أن ضلّوا باتّباعهم إبليس.

ويقول الفرزدق مادحاً:

«لقد ضَرَبَ الحَجَّاجُ ضَربَةَ حازِمٍ كبَا جُندُ إبليس لَها وتَضعضَعُوا»

(الفرزدق، ١٩٧٣م، ج١: ٤١٧، ج١: ٣٩٩).

قد أشار الشاعر إلى أنّ الحجّاج فتك بالكافرين من جماعة إبليس، فجعلهم يتضعضعون ويرجفون.

٣. قصّة يوسف (ع)

يعدّ يوسف عليه السلام أنموذجاً للإنسان المؤمن الصّابر المتمسّك بقيمه الدّينية رغم كلّ الصّعوبات التي يلقاها، والتي تحاول زحزحته عن مبادئه، كما أنه يعدّ أنموذجاً للإنسان المتسامح الذي يقابل الإساءة بالإحسان، إذ يعفو عن إخوته رغم كلّ ما لقيه من إساءة منهم.

و هذه الجزئية من قصّة يوسف القرآنية والتي جاءت في قوله تعالى: "**قَالُواْ تَاللّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ* قَالَ لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**" (يوسف: ٩١-٩٢). يشير إليها جرير في قصيدته التي يمدح بها سليمان بن عبدالملك، حينما عهد إلى ابنه أيّوب و ذلك حين يقول:

«إنَّ الإمامَ الَّذي تُرْجَى نَوائِلُـــهُ بَـــــعدَ الْإمَامِ ولِيُّ العَهْدِ أيُّوبُ...
كونُوا كيوسُفَ لَمَّا جَاءَ إخْوَتُـــهُ وَاستَعرَفُوا قَال: مَا فِي الْيومِ تَثْرِيب[٣]
اللهُ فَضَّلَـــهُ وَاللهُ وَفَّـــــقَـــهُ تَوفيـــق يوسُفَ إذْ وَصّاهُ يعقُوبُ»

(جرير، ١٩٨٥م، ج١: ٣٤٩؛ ابن عساكر، ١٤١٥هـ.ق، ج١٠: ١٠٣).

يبدأ الشاعر بمدح أيوب بن سليمان بن عبدالملك، وليّ العهد الذي يأمل الناس أن ينالوا عطاياه وهباته. ثمّ يتابع و يحضّ الأمويين على مسامحة أعدائهم فيقول: كونوا كيوسف حين جاء إخوته إليه في مصر وعرفهم وعرفوه، فاعتذروا عمّا بدر منهم من ظلم تجاهه، فقال لهم: لا لوم عليكم اليوم و عفي عنهم. والله فضّله على غيره ومنحه توفيقه و نصره، كما نصر يوسف من قبل، فنفذ وصية والده ونال تأييده. لأنّ الوليد أراد البيعة لابنه عبدالعزيز ودعا سليمان إلى المبايعة فأبى، فكان بينهما تباعد وجفاء.

و يشير الفرزدق إلى ذلك في قوله، يخاطب يزيد بن عبدالملك:

«كنْ مثلَ يوسُفَ لَمّا كادَ إخوتُهُ سَلَّ الضَّغائِنَ حَتَّى مَاتَتِ الحِقَدُ»

(الفرزدق، ١٩٧٣م، ج١: ١٣٩).

يخاطب الشاعر يزيد بن عبدالملك، قائلاً له: كنْ مثل يوسف الذي تنكر له إخوته و نبذوه، فنزع الضغينة والحقد من قلبه و غفر لهم ذنوبهم.

٤. قوم لوط

كان قوم لوط كما ذكر القرآن يأتون الذّكور دون الإناث ويصرّون على إتيان هـذه الفاحشة البشعة، و لم يرتدعوا عن ذلك على لسان نبيه لوط، فحلّ عليهم العذاب. قال تعالى: "**وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ* أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ**" (النمل: ٥٤-٥٥).

إنّ جرير في هجائه لعرادة النّميري (راوية الرّاعي النميري) يقرنه بقوم لوط قائلاً:

«عَـرادَةُ من بَقيَّةِ قَوْمِ لُـوط ألاَ تَبّاً لِمَا فَعَلوا تَبابا»

(جرير، ١٩٨٥م، ج٢: ٨١٩؛ الأصفهاني،٢٠٠٢م، ج١٨: ٣٩٦، ابن الأنباري،١٤٢٤هـ.ق، ٣٥٣).

فقول الشاعر (قوم لوط) يوحي للمتلقّي ويحيله إلي قصّة لوط التي احتزنها في الذّاكرة ولارتباطها بالقرآن الكريم الذي تمتّع بصدقيّة عالية في نظر المتلقّي، ممّا يجعله يعمق أثر الهجاء ويقارب التشبيه بين عراد وقوم لوط في الفسق والفجور والمخازي المُشينة مشيراً إلي آية: "**وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ**" (سوره هود: ١٠١) وقد نعت الشاعر عرادة أنه من بقيّة قوم لوط، فألصق به ما أسقطه عليهم القرآن من خزي و عار.

٥. قصة يونس

أشار القرآن الكريم إلى قصّة يونس مع الحوت في قوله تعالى: "**فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ* لَوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاء وَهُوَ مَذْمُومٌ**" (القلم: ٤٨-٤٩) وإلى ذلك يشير الفرزدق في قوله:

«لَمَّا رَأيت الْأَرضَ قَد سُدَّ ظهرُهَا ولَمْ تَرَ إلا بطنَهَا لَك مَخْرَجَا

دَعوْتَ الَّذي نَاداهُ يونُسُ بَعدَمَـا ثَوَى فِي ثَلاثٍ مُظلِمَاتٍ فَفَرَّجَا»

(الفرزدق، ١٩٧٣م، ج١: ١١٧، الأصفهانى،٢٠٠٢م، ج١٠: ٣١٥).

يقول الشاعر: إنّ النّجاة استحالت عليه فوق سطح الأرض، فتوسّل النجاة في بطنها ليخرج. ناديت ربّك فنجّاك كما نجّى يونس أقام في بطن الحوت ثلاثة أيام و أخرجه من بطن الحوت.

و في قوله (في مدح الحجّاج) أيضاً:

«ولكنَّ رَبِّى رَبُّ يونُسَ إذْ دَعَـا مِنَ الحُوتِ فِى مَوجٍ مِنَ البَحرِ سائلِ
دَعَا رَبَّهُ وَ اللهُ أرحَمُ مَن دَعَـا وَ أدنَاهُ مِـن داعٍ دَعَـا مُتَضائلِ»

(الفرزدق، ١٩٧٣م، ج٢: ١٣٩).

مشيراً إلى أنّ الله أنقذه كما أنقذ يونس من جوف الحوت. و يونس دعا ربّه فاستجاب إلى دعائه.

٦. قصة نوح (ع)

من الشخصيات القرآنية السلبية التي أحالنا إليها الشعراء الأمويون شخصية ابن نوح (ع). جعل الفرزدق الطّرف الثاني للصّورة الفنية وجعل الحجّاج يمثّل الطرف الأول منها، فأسقط ما عايشه ابن نوح من طغيان وفساد وضلال على ما عايشه الحجّاج من طغيان وسفك للدّماء و كلاهما عايش الوهم فكما خيل لابن نوح أنه سيرتقى بالسّلالم لينجو من الغرق و يعصمه الجبل منه، وكذلك الحجّاج أنه ناجٍ بظلمه و طغيانه، فجامع طرفي الصّورة وهما الحمق و الغرور و كأنما استوقفه وجه الشبه المحدّد بين الحجّاد و بين عصيان ابن نوح لأبيه منذ نصحه: "**يا بُنيّ اركبْ مَعَنَا**" إلى رفضه النّصح و ما كان من مكابرته قال: "**سَآوِي إلَى جَبَلٍ يعصِمُني مِنَ المَاءِ**"(سورة هود: ٤٣).

في قصيدته التي يمدح بها سليمان بن عبدالملك و يهجو الحجّاج، يقول الفرزدق مصوّراً طغيان الحجّاج ومصيره:

«فلَمّـا عَتَا الجحّادُ حينَ طَغَى بِهِ غنيً قال: إني مُرْتَقٍ في السَّلالِمِ
فكَانَ كمَا قال ابنُ نُوحٍ سَأرْتقي إلى جَبَلٍ مِنْ خَشْيَةِ المَاءِ عاصِمِ
رَمَى اللهُ فـي جُثْمَانه مِثْلَ ما رَمَى عَنِ القَبْلَةِ البَيْضَاءِ ذاتِ المَحارِمِ
جُنُوداً تَسُوقُ الـفِيلَ حَتى أعادَها هَبَاءً وَكانوا مُطْرَحمّي الطَّرَاحِمِ
نُصِرْتَ كَنَصْرِ البيْتِ إذْ ساقَ فيلَه إلَيهِ عَظِيمُ المُشرِكِينَ الأعاجِمِ»

(الفرزدق، ١٩٧٣م، ج٢: ٣٠٩).

فلم يجد الفرزدق شخصية مماثلة إلا شخصية ابن نوح(ع) ليسقطها على شخص الحجّاج لينال منه ويجعل له جمهور من المتلقّين الذين يترفّعون عن الحجّاج كترفّعهم عن شخص ابن نوح بجامع الاستياء و البغض والتكفير والطغيان.

والأبيات الثلاثة الأخيرة تشير إلى قصة أصحاب الفيل الذين أرادوا هدم الكعبة والتي أوردها القرآن في سورة الفيل. في هذه الأبيات يوظّف الفرزدق شخصية قرآنية أخرى، مستمدةً من قصة

أبرهة الأشرم و الهجوم على الكعبة، فجعل ذلك في بناء الصّورة الموحية لممدوحه حيث جعل الممدوح كالبيت الحرام في أنّ الله سبحانه هو من أتى بالطير الأبابيل لنصرة البيت وفعل مثل ذلك مع الخليفة الممدوح، فإنزال الملائكة لتنصره، فأسبغ عليه هالة القداسة ذاتها وجلببه بجلباب الرّوحية المطلقة فعمّق الصّورة وجعل المتلقّي يرتدّ إلى قصة البيت العتيق و ما يتبع ذلك من شعور ديني و خشوع في نفس المتلقّي المسلم.

ويشير الفرزدق إلى غرق قوم نوح بالطّوفان حين يقول:

«وَكَمْ عَصَى اللهَ مِنْ قَوْمٍ فأهلكهمْ بالرّيحِ، أوْ غَرَقاً بِالمَاءِ طُوفَانَا»

(م ن، ج٢: ٣٢٨).

يذكرهم بمن أهلهم الله أمثال عاد وثمود و أهل نوح، أما أبادهم بريح صرصر عاتية مستغرقاً سبع ليالٍ أو أغرقهم الله في غمرات الماء إثر الطّوفان.

كما يشير جرير إلى دعاء نوح و استجابة الله له في مديحه للحجّاج وذلك حين يقول:

«دَعَا الحَجَّاجُ مِثلَ دُعَاءِ نُوحٍ فَأسْمَعَ ذَا المَعَارِجِ فَاستَجَابَا»

(جرير، ١٩٨٥م، ج١: ٢٤٤؛ وانظر الفرزدق، ١٩٧٣م، ج٢: ٧٠؛ ابن عبد ربه،١٤٠٤هـ.ق، ج١: ٣٣٠).

فقال له الحجّاج: إنّ الطاقة تعجز عن المكافأة، ولكنّي موفدك على أمير المؤمنين، عبد الملك بن مروان، فسرْ إليه بكتابي هذا فسار إليه.

وعندما مدح مسلمة بن عبدالملك، أشاد جرير بقيادته للجيوش و شبّهه بنوح في قيادته بالسّفينة، فقال:

«مُسلِمُ جَرّارُ الجُيوشِ إلى العِدَى كمَا قادَ أصحابَ السَّفينةِ نُوحُ»

(جرير، ١٩٨٥م،ج٢: ٧٨٨).

يقول الشاعر: إنّ مسلمة يقود الجيوش الجرّارة إلى أعدائه فيفوز و ينجح، كما قاد نوح سفينته ومن فيها إلى النّجاح و النصر والنجاة.

والقرآن يذكر أن نوحاً عاش بين يدى قومه تسع مائة و خمسين سنة، قال تعالى: "**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ**" (العنكبوت: ١٤).

فهو بذلك أنموذج للإنسان المعمّر ومن هنا نجد القحيف العجلي عندما تغزل بامرأة تُدعى"حرقاء"، رأى أنها تزداد ملاحةً في عينيه حتّى و لو تجاوزت عمر نوح المديد. فهو يقول:

«وخَـــــرْقاءُ لا تزدادُ إلاّ مَلاحةً ولو عُمِّرَتْ تعميرَ نُوحٍ وجَلّتِ»

(الأصفهانى، ٢٠٠٢م، ج٢٤: ٨٥؛ ابـــن حمـــدون، ١٤١٧هـ.ق، ج٦: ١٤١، ابـــن قتيبـــة، ١٤٠٨هـ.ق، ج٤: ٥٧).

كما أنّ عمر بن أبي ربيعة يرضى بالصّمت مدى عمر نوح، إذا كان ذلك مطلب محبوبته فيقول:

«ولَو أقسَمتَ لَا يكلِّمُ حَتَّـــــــى عُمرِ نُوحٍ بِعَيشِهِ مَا عَصَاكا»

(ابن ابي ربيعة،١٩٥٢م، ٤٠٠).

٧. قصة سليمان (ع)

ذكر القرآن أن الله سخّر لسليمان الرّياح و هو ما يدلّ عليه قوله تعالى: "**فَسَخَّرْنَا لَـــهُ الـــرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاء حَيْثُ أَصَابَ**" (ص: ٣٦).

والفرزدق يشير إلى ذلك في قوله:

«وَمَـــنْ سَمَكَ السَّمَاءَ لَهُ فَقامَتْ، وَسَخّرَ لابنِ داوُدَ الشَّمَالا

وَمَنْ نَـــــجّى مِنَ الغَمَرَاتِ نُوحاً وَأَرْسَى في مَواضِعِها الجِبَالا»

(الفرزدق، ١٩٧٣م، ج٢: ٧٠).

يقسم الشاعر بالله الذي سمك السّماء و رفعها وسخّر الرياح لسليمان بن داود ويقسم بالله الذي أنقذ نوحاً من الغرق وأثبت الجبال الشامخة.

ويشبه يزيد بن الحكم، سليمان بن عبدالملك (لما ولّاه بكورة فارس) بسليمان بن داود في عدلـــه وفضله؛ فيقول:

«سُمِّيتَ باسْم امْرِىءٍ أشبهتَ شيمتَهُ عدلاً و فَضْلاً سليمانَ بـــنَ داوُدَا

أحْمدْ بِهِ في الوَرى المَاضينَ من مَلكٍ وَأنتَ أصبحتَ فِي البَاقِينَ مَحمُودَا

لَايَبرأ النَّاسُ مِن أن يُحمَدُوا مَلـــكاً أولاهُم فِي الأمُورِ الحِلمُ وَالجُودَا»

(القيسى،١٩٨٢م، ج٣: ٢٥٨؛ الأصفهاني،٢٠٠٢م، ج١٢: ٤٧٤).

يقول في مدحها سُمِّيتَ باسمِ نَبِيٍّ أَنتَ تُشْبِهُه حِلْماً وعِلْماً، أي سليمان بنِ داود، أَحْمِدْ بـــه في الورى الماضِين من مَلِكٍ وأَنتَ أَصْبَحتَ في الباقِينَ مَوْجُوداً لا يُعذَلُ الناسُ في أَن يَشكُروا مَلِكاً أَوْلاهُمُ في الأُمُورِ حزماً و جوداً.

وفي قصيدته التي يمدح بها الوليد بن عبدالملك ويشيد بتحويله الكنيسة إلـــى مـــسجد[٣]، يـــستفيد الفرزدق من جانب من جوانب قصّة سليمان و ذلك في قوله:

«فُهّمتَ تَحويلَها عَنهُمْ كما فَهِما، إذْ يَحكُمَانِ لهمْ في الحَرْثِ وَالغَنمِ
داوُدُ وَالمَلِكُ المَهْدِيُّ، إذْ حَكَما أوْلادَها وَاجْتَزَازَ الصّوفِ بالجَلَمِ
فَهَمَّكَ اللهُ تَحْوِيلاً لَبَيْعَتِهِمْ عَنْ مَسْجِدٍ فيهِ يُتَحلّى طَيّبُ الكَلِمِ»

(الفرزدق،١٩٧٣م، ج٢: ٢١٠؛ ابن عساكر،١٤١٥ه.ق، ج٢: ٢٦٠).

إنّ تحويل الكنيسة إلى مسجد نزل عليه كأنّه بالوحي الذي نزل على داود وابنه سليمان اللذين كانا يأخذان الأشياء بأدواتها، ثمّ الله أشار اليه في تحويل تلك الكنيسة إلى مسجد تتلى فيه الآيات الكريمة.

٨. قصة موسى (ع)

أشار الشعر الأموى إلى عدد من الجوانب التي تعرّض لها القرآن الكريم في قصة موسى عليه السلام.

فإلي غرق فرعون الذي أشار إليه القرآن في أكثر من موضع ومن ذلك قوله تعالى:" **وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ*فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ*فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ**"(الذاريات: ٣٨-٤٠).

يشيرالفرزدق في قصيدته التي يهجو بها إبليس، إذ يقول:

«فَقُلْتُ لَهُ: هَلاّ أُخَيَّكَ أخرَجَتْ يَمِينُكَ مِنْ خُضرِ البُحُورِ طَوَامِ
رَمَيْتَ بِهِ في اليَمّ لَمّا رَأيْتَهُ كَفِرْقَةِ طَوْدَيْ يَذبُلٍ وَشَمَامِ
فَلَمّا تَلاقَى فَوْقَهُ المَوْجُ طَامِياً، نَكَصْتَ، وَلَمْ تَحْتَلْ لَهُ بمَرَامِ»

(الفرزدق، ١٩٧٣م، ج٢: ٢١٣).

يقول الشاعر: إنّ ابليس وعد فرعون أن ينقذه مع جيشه من الغرق و لم يفعل و إنّك رأيته يغرق في البحر وكأنه قطعة من جبل يذبل أو شمام. إنك رأيت الأمواج تبتلعه فتخلّيت عنه و لم تبذل حيلة لإنقاذه.

و يشبه كلّ من جرير و الفرزدق الآخر بأنّه السّامري[٥]. فيقول جرير هاجيا الفرزدق:

«ولَمّا دَعوْتَ العَنبَرِيّ بِبلدَةٍ إلَى غَيرِ مَاءٍ لَا قَريب وَ لا أهْلِ
ضَلَلْتَ ضَلالَ السَّامِرِيِّ وَ قَومِهِ دَعَاهُم فَظلُّوا عَاكفين عَلَى عجلِ
فلمَّا رَأى أنَّ الصَّحَارِيَ دُونَهُ ومُعتَلَجُ الْأنقاءِ مِن نَبَجِ الرَّمْلِ
بَلعْتَ نَسِيءَ الْعَنبَرِيّ[٦] كأنَّما تَرَى بِنَسِيءِ الْعَنبَرِيّ جَنَى النَّحلِ»

(جرير، ١٩٨٥م، ج٢: ٩٥٢).

يقول الشاعر معدّداً أخطاء الفرزدق و جهله. فبعد اعتماده على الدّليل المتجاهل الذي أضلّه تأتي دعوته العنبريّ إلى بلدة بعيدة لا ماء فيها و لا أهل. ثم شبّه ضلال الفرزدق بضلال السامريّ الـذي دعا قومه إلى عبادة العجل والبقاء على وثنيتهم عندما تركهم موسى إلى مواعدة ربّـه. و لمّـا رأى الفرزدق الصّحاري الفسيحة وكثبان الرّمل التي تفصله عن قصده، شرب من بول العنـبري و كأنـه يشرب العسل، وذلك لشدّة ما أصابه من العطش بعد أن تاه وضلّ بالصحراء.

فلفظة السّامريّ أحالتنا إلى قصة السّامريّ بشكل مكثّف، حيث المفردة القرآنية تتجاوز المعـاني اللغوية الأولى إلى المعاني الإستعارية الثانية، حيث أنها تشحن بطاقات تصويرية وعاطفة خصبة، فـلا تقف عند المعنى الدّلالي بل هناك وظيفة أخرى للمفردة القرآنية لها صلة بالصّورة، لا من حيث بنيتها اللغوية أو الموسيقية ذاتها، ولكن من حيث قدرتها على استحضار صورة قرآنية أو مشهد قرآني، كما أنها تساعد على تداعي المعاني والصورة في مخيلة المتلقّي ذي الثّقافة القرآنية وتجعل المـدلول الـشعري واسعا و أغنى من الدّلالة المباشرة.

ويقول الفرزدق هاجيا جرير:

«وَلَقَدْ ضَلَلْتَ أباكَ تَطْـُبُ دارِماً كَضَلالِ مُلْتَمِسٍ طَرِيـقَ وَبَارِ[٧]
لا يَهْتَدي أبَداً، ولَـوْ نُعِـتَتْ لَهُ بِسَـبِيلِ وَارِدَةٍ وَلا إصْـدارِ
قالوا: عَلَيْكَ الشّمسَ فاقصِدْ نحوَها وَالشّمْـسُ نَائِيَةٌ عَنِ السُّـفَّارِ
لَمّا تَكَسّعَ في الرّمَـال هَدَتْ لَهُ عَـرْفَاءُ هَـادِيَةٌ بِكُلّ وِجَـارِ
كَـالسّامِرِيّ يَقُـولُ إنْ حَـرّكْتَهُ: دَعْنِي، فَلَيْـسَ عَلَيّ غَيرُ إزَارِي»

(الفرزدق،١٩٧٣م، ج١: ٣٦٠).

أراد جرير أن يفاخر دارماً بأبيه الحقير، فضلّ الطريق وتاه وإنه لن يهتدى في الإقبال والإدبار ولو سلك الطريق لأنها طريق الضّلال. ومن قصد مجد دارم كمن قصد الشمس التي لا سبيل إلى بلوغهـا وحين طلب الشمس ضلّ طريقه فضاع و أكلته الضّباع وإن ردائه يستره، فإن نزعته عنـه، بـدت عورته.

فتشبيه الفرزدق لجرير بالسامريّ الذي أضلّ قومه ينطوي على احتقار كبير كونه أسـقط عليـه شخصية فاسدة مفسدة ولا شك في وقع ذلك السلبيّ على نفسه.

كما أنّ جريرا يشبه سراقة البارقي بالسّامري فيقول:

«يا آلَ بـَـارِقَ لَوْ تَقَدَّمَ ناصِحٌ لِلبَـارِقِيِّ فَإنَّهُ مَغرُورُ

كـــــالسَّامريِّ غَداةَ ضلَّ بِقَومِهِ والعِجْلُ يعكفُ حَولَهُ و يخورُ»

(جرير، ١٩٨٥م، ج١: ٣٦٦).

يقول الشاعر يا أهل بارق، إنّ واحدكم لا يقبل النصيحة لأنه مصابٌ بـــالغرور والخـــيلاء وإنّ البارقي قد قاد قومه إلى الضّلال. كالسامريّ الذي حوّل قومه عن عبادة الله إلى عبادة العجل.

و يذكر أبودهبل الجمحي عبادة قوم موسى للعِجل (عند مدح مروان بن الحكم لّما تولّى الخلافة) في قوله:

«يدعُونَ مَروانَ كيما يستَجيب لَهُم وَ عندَ مَروانَ خارَ القَومُ أوْ رَقَدُوا

قَدْ كانَ فِي قَومِ مُوسَى قَبلَهُمْ جَسَدٌ[٨] عِجْلٌ إذَا خَارَ فِيهم خَورَةٌ سَجَدُوا»

(الجمحى، ١٩٧٢م، ٨٠؛ الأصفهاني، ٢٠٠٢م، ج٧: ٩٩).

وقصة السّامري ورد ذكرها في القرآن في سورة طـــه، الآيـــات: ٨٥-٩٥. و يـــذكر القـــرآن (القصص: ٧٦-٨٢) قصّة قارون و هو رجل من قوم موسى كان يملك كنوزاً جمّة.

ومدح الشمردل بن شريك هلال بن أحوز المازنيّ واستماحه، فوعده الرّفد، ثمّ ردّده زماناً طويلاً حتى ضجر، ثم أمر له بعشرين درهماً فدفعها إليه وكيله غلّة فردّها، و قال يهجوه:

«وَلَوْ قِيل مَثلاً كترَ قارُونَ عِنـــدَهُ وَ قيل التَمِسْ مَوعُودَهُ لَا أعَاوِدُهْ»

(الأصفهاني، ٢٠٠٢م، ج١٣: ٣٥٨).

كما أنّ يحيى بن نوفل سخر من عصا الحكم بن عبدل التي كان يكتب عليها حاجته، ويبعث بها من رسله فلا يحبس له رسول و لا تؤخّر له حاجة، فيشبّهها ب«عصا موسى» التي كانت له آية عند فرعون. يقول يحيى بن نوفل:

«عَصَا حكم في الدّار أوّل داخِـــلٍ وَ نَحنُ عَلَى الأبوَابِ نُقصِي وَ نَحجُبُ

وَكَانَت عَصَا مُوسَى لِفرعَوْنَ آيَـــةً وَ هَذي لَعمرُ اللّه أدهَى وَ أعجَبُ

تُطَاعُ فَلَا تُعصى وَ يُحذر سُخْطَهَا وَ يُرغَبُ في المَرضَاةِ منهَا وَ تُرهَبُ»

(م ن، ج٢: ٤٠٤؛ الجاحظ، ١٣٦٤هـ.ق، ٣٢٤).

فشاعت هذه الأبيات بالكوفة وضحك الناس منها؛ فكان ابن عبدل بعد ذلك يقول ليحيى: يابن الزانية! ما أردت من عصاي حتى صيّرتها ضحكة؟ واجتنب أن يكتب عليها كما كان يفعل، و كاتب الناس بحوائجه في الرّقاع.

٩. يأجوج و مأجوج

يأتي خبر يأجوج ومأجوج ضمن قصة ذي القرنين التي ذكرها القرآن الكريم خطاباً للنبي محمد (ص)، حين سأله اليهود عنه بقوله تعالى: **وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْراً** (الكهف: ٨٣). أمّا يأجوج ومأجوج فهما قبيلتان أفسدتا في الأرض بالغي والنهب، فعندما وصل ذو القرنين إلى بلاد الترك وجد قوماً قد طفح كيلهم من هاتين القبيلتين فشكوا عتوّهما إليه "**قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدّاً**". (الكهف: ٩٤)، فاستجاب لهم وأمرهم أن يأتونه بقطع من الحديد، فأخذ يضعها ويضع بينها الفحم و الحطب حتى ساوى بين جانبي الجبلين، وأشعل النار حولها حتى صار الحديد كالنار، فأفرغ عليه النحاس المذاب، فدخل بين قطع الحديد وصار شيئاً واحداً، فما استطاع يأجوج ومأجوج أن يعلواه أو ينقباه.

والفرزدق يستوحي كثرة هذه الجماعة، فيقول في قصيدته التي يمدح بها العذافر بن زيد التيمي:

«لعَمرُكَ مَا الأرزاقُ يَومَ اكْتِيالِها بأكثرَ خَيراً من حَوَان عُذَافِرِ[٩]
ولَوْ ضافه الدَّجّالُ[١٠] يلتمسُ القِرىَ و حَلَّ عَلَى خَبَّازِه بالعَسَاكِرِ
بِعِدَّةِ ياجُوجٍ و مَأجُوجَ[١١] جُوِّعاً لأشبَعَهُم شَهراً غَداةُ العُذَافِرِ»

(الفرزدق،١٩٧٣م، ج١: ٣١٨؛ أنظر ج١: ٣٤٨؛ و ابن قتيبة، ١٤٠٨هـ.ق، ج٣: ٢٦٣، الجاحظ،١٩٩١م، ٢٩٠).

يقول الشاعر: إذا كيلت الأرزاق التي توضع على الموائد وأحصيت فإنها أقلّ ممّا على مائدة العذافر من الخبز والطعام. ولوحلّ المحتال المكذّب ضيفاً عليه ومعه عساكر يطلبون الخبز ومعهم قوم كثيرون جائعون لأشبعهم الممدوح طوال شهر من الزّمن.

١٠. عاد و ثمود

عاد وثمود من الأمم الضالّة التي كذبت بأنبيائها فأنزل بها الله نكاله الوبيل جزاء ما عملت و قد ذكر القرآن قّصتها في عدّة مواضع منه.

فأمّا عاد فقد أهلكهم الله بالرِّيح العاتية، قال تعالى: "**وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ*سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ*فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ**"(الحاقة: ٦-٨).

ويصوّر جرير جيوش أمير المؤمنين وكونها وبالاً على عبّاد الجحافى[١٢]- أحد خوارج اليمن- بالرّيح التي كانت نحساً على قوم عاد، فيقول:

«لاقَـــوْا بُعُوثَ أميرالمُؤمنين لَهُمْ كالرِّيح إذْ بُعِثَتْ نَحْساً عَلَى عَادِ»
فِيـــهم مَـــلَائِكةُ الرَّحمنِ مَالَهُم سِوَى التَّوَكلِ و التَّسبيح مِن زَادِ»

(جرير، ١٩٨٥م، ج٢: ٧٤٣).

يعنى إنّ جنود الخليفة أهلكتهم و أبادتهم كما عصفت الرياح بقوم عادٍ و فتكت بهم وإذا انتصروا على أعدائهم، ذلك لأنّ الله تعالى أمدّهم بجنود لم يروها.

نلاحظ أن هذا التأثّر بالقرآن إنما يشيع بصورة غالبة في شعر المديح عند جرير ولعلّ مردّ ذلك هو أنه مدح خلفاء عصره وكان لهؤلاء صفة دينية باعتبارهم خلفاء الرسول الأكرم.. غـــير أنّ تـــولّيهم الخلافة كان قدتمّ بطريقة لم يشرع لها القرآن و لم يعرفها العصر الرّاشدي ولهذا كثر خـــصومهم ممّـــن يرون الرّجوع إلى القرآن وأحكام الدين في تقرير أمرالخلافة ومن يصلح لها.. فكان لابدّ لجرير الشاعر المتكسّب في مديحه، من أن يستعين بالقرآن حين يمدح الأمويين وحين يردّ على حجج خصومهم، فهو يتوعّد المخالفين لهم بمصائر عاد وثمود.

ويشبه جرير ذاته بني تغلب بقوم عاد و ذلك في قوله:

«كانَتْ بَنُو تَغلِبٍ لَا يعلُ جَدُّهُـــم كالمُهلَكين بِذِى الْأحقافِ إذ دَمَرُوا
صُبَّتْ عَليهِمْ عَقِيم مَا تُنَاظِرُهُـــمْ حَتَّى أصَابَهُمُ بِالحَاصِبِ القَدَرُ»

(جرير، ١٩٨٥م، ج١: ١٥٨).

يفخر الشاعر بقبيلته قائلاً: إنّ بني تغلب لاحظّ لهم في القتال وإذا ما قاتلوا فإنهم يقتلون و يهلكون كما أصيبوا في موقعة ذي الأحقاف حيث دمرّوا تدميراً. وإنّهم تصدّوا لهم كالعاصفة العقيمة الـــتي لا تمطر و لم يتداركوا أمرها فخذلوا وأصابهم القدر في يوم الحاصب.

ويشير الفرزدق إلى مصرع عاد بالرّيح في قوله:

«وكمَ عصى اللهَ مِن قَومٍ فأهلَكهُم بِالرِّيح أو غَرقاً بِالمَاء طُوفَانَا»

(الفرزدق، ١٩٧٣م، ج٢: ٣٢٨).

و يقول القُطامي:

«نَرْجُو البَقاءَ ومَا من أمَّةٍ خُلِقَـــتْ إلّا سيهلِـــكها مَا أهْـــــلَك الأمَمَا
أمَا سَمعتَ بِأنَّ الرِّيح مُرسِـــلَـــةٌ في الدَّهرِ كانَتْ هَلاك الحَيّ مِن إرَمَا»

(القطامي، ١٩٦٠م، ١٠٠، أنظر: الجمحي، ١٩٧٢م، ٦١، العرجي، ١٩٥٦م، ١٩٢).

استلهم الشاعر الدّلالة القرآنية لتعطي ظلالاً بعيدة للمعاني وإضاءة لشعره، حيث اقتبس النصّ القرآني (إرم ذات العماد) (سورة الفجر: ٧) زيادة تعريف بـ «عاد»، أي من قوم عاد الذين كانوا يسكنون بيوت الشعر الذي ترفع بالأعمدة الشدّاد و كانوا أشدّ الناس خلقاً و أقواهم بطشاً.

وفي قصيدته التي يهجو بها إبليس، يشير الفرزدق إلى هذه القصّة بقوله:

«ألَمْ تَأتِ أهلَ الحِجرِ[١٣] والحِجرُ أهلُهُ بأنْعَمِ عَيْشٍ في بُيُوتٍ رُخَامِ
فَقُلْتَ اعْقِرُوا هذي اللِّقوحَ[١٤] فإنّها لكُمْ، أوْ تُنيخُوها، لَقُوحُ غَرَامِ
فَلَمّا أنَاخُوها تَبَرّأتَ مِنْهُمُ، وَكُنْتَ نَكُوصاً عَنْدَ كلّ ذِمامِ[١٥]»

(الفرزدق، ١٩٧٣م، ج٢: ٢١٤؛ وانظر جرير، ١٩٨٥م، ج١: ٢٩٠، ٣١٩).

يقول الشاعر: إنّك أتيت إلى ديار ثمود وكانوا يعيشون وكأنهم في النعيم وإنّ إبليس أشار عليهم أن يعقروا ناقة صالح. ثمّ إنهم عقروا الناقة بأمرٍ وقد نكث عهدهم و لم يف بما تعهّد به نحوهم.

ولمّا قرّر عمر بن عبدالعزيز إخراج الفرزدق من المدينة، أجّله ثلاثاً فإن وجده بعدها نكّل به، فخرج الفرزدق و هو يقول:

«فأجَّلَني ووَاعَدَني ثلاثاً كَما وُعِدَتْ لمهْلِكها ثَمُودُ»

(الأصفهاني، ٢٠٠٢م، ج٢١: ٤٠٢).

ومن الشخصيات التي تكرّر ذكرها في الشعر الأموي، شخصية قدار بن سالف الذي جرّ الويلات على قومه، حيث استدعيت معجزة النبي صالح (ع)، فقد روى «أنّ سيد قوم صالح، جندح بن عمرو قال: يا صالح اخرج من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء عشراء، فصلّى ركعتين ودعا ربّه، فتمخّض النتوج بولدها،ثمّ تحركت فانصدعت عن نافة بالصفات نفسها، فآمن جندح فقال صالح: هذه ناقة الله لها شرب يوم، و لكم شرب يوم معلوم، فعقرها قدار بن سالف» (الدميرى،١٩٩٤م، ٢٦٦).

إنّ القرآن الكريم اعتمد كثيراً على جانب التصوير، فللتّصوير حضور مكثّف في النصّ القرآني ولعلّها من أبرز الجمال فيه.

وهذا جرير يستعير الصورة القرآنية وكأنّه يسبغ عليها نوعاً من التّفصيل، فربط الفرزدق بأشقى ثمود، وجعل ذلك مقياساً للضلال و مجانبة الهدى وقد وضع ليالي العذاب و موعدها في قوله:

«نَفاكَ الأغَرُّ ابنُ عَبدِ العَزِيزِ[١٦] بحقٍّك تُنْفَى مِنَ المَسجِدِ
وَشَبَّهتَ نَفسَكَ أشقَى ثَمُودَ[١٧] فَقَالُوا: ضَلَلْتَ و لَم تَهْتَدِ
وَقَد أجَّلُوا حِينَ حَلَّ العَذابُ ثلاثَ لَيالٍ إلى الْمَوعِدِ»

(جرير، ۱۹۸۵م: ۹۳).

يعيّر الشاعر الفرزدقَ بطرده فيقول: إنّ الخليفة نفاه عن المدينة لما رأى خبثه و إفحاشه و أنّه يجب أن يمنع من دخول المساجد لفساده وإنّك أشبهت نفسك بمن عقر ناقة النبى صالح و الكلّ يقول: إنّك ضللت الطريق السلّيم و لم تعرف الهداية.

وهو يربط فى ذلك بين قصته و بين قوله تعالى:"**فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ**" (هود: ۶۵).

وقد أصبحت"ناقة صالح" مضرب المثل فى كلّ من يجلب البلاء على قومه. يقول الفرزدق يهجو جريراً:

«وكانَ جرير على قَومه كبَكرِ ثَمود لَها الأنكد
رَغَا [۱۸]رَغْوَةً بمَناياهُم فصارُوا رَمَاداً مع الرِّمْدَدِ[۱۹]»

(الفرزدق، ۱۹۷۳م، ج۱: ۱۷۶ وانظر ج۱: ۲۶۳، ۳۵۵، ۳۶۹).

إنّ جريرًا سبّ بقصيدته الهلاك بني قومه كما هلك أهل ثمود. ثمّ يقول إنّ جريرًا رفع صوته كناقة ثمود فأهلك بني قومه وجعلهم رماداً منثوراً.

فجاء توظيف من يجرّ الويلات على قومه في الجانب الأوّل من الصّورة وجعل مفهوم قصة قدار وناقة صالح الطّرف الثاني من الصّورة بعبارة مركزة و مكثّفة و الفرزدق أسقط شؤم عاقر الناقة على خصمه جرير.

من هذا يتضح أنّ الشعر الأموي يدلّ على ثقافة إسلامية عميقة اكتسبها شعراؤه بفضل نشأتهم الإسلامية ومعرفتهم بالقرآن الكريم والحديث النبوي وتمثّل ذلك في إدراكهم لأمور العقيدة والعبادات و إلمامهم بالأحكام الفقهية والحدود الشرعية واستلهامهم القصص القرآنية. وقد شمل ذلك مختلف الموضوعات الشعرية من مدح و هجاء و غزل ورثاء وغير ذلك. وإن كان الباحث يشعر بتفوّق المدح والهجاء والغزل من حيث الكمّ الشعري الذي تتّضح فيه هذه الثقافة وهو أمر طبيعي، باعتبار هذه الثلاثة هي الموضوعات الكبرى للشّعر في تلك الحقبة.

وعلى الرغم من أنّ الغالبية العظمى من الشعراء قد ظهر تأثّرها بالثقافة الإسلامية، إلا أنّ هناك بعض الأسماء الشعرية كجرير والفرزدق فاق الأثر عندها سواها، وهذا في اعتقادي يرجع إلى أن النّتاج الشعري لهذه المواهب الفذة كان جسيماً، ووصل إلينا الجزء الأكبر منه، إن لم يكن كلّه.

النتيجة:

١. كانت شخصيّات الأنبياء هي أكثر شخصيات التّراث الديني شيوعاً في الشعر الأموى لإحساس الشعراء بأنّ ثمة روابط وثيقة تربط بين تجربتهم وتجربة الأنبياء، فكلّ من النّبي والشاعر الأصيل يحمل رسالة إلى أمّته. والفارق بينهما أنّ الأوّل يحمل رسالة سماوية، أمّا الجامع بينهما فهو أن كلا منهما يتحمّل العنت والعذاب في سبيل رسالته ويعيش غريباً في قومه، محارباً منهم في أغلب الأحوال وغير مفهوم و لذلك فقد طاب للشعراء أن يشبهوا فترة المعناة التي يعيشها الشاعر قبل ميلاد القصيدة بفترة الغيبوبة التي كانت تنتاب الرّسل أثناء الوحى.

٢. إنّ الشعر الأموى يحاول امتصاص القصة القرآنية، ثمّ تحويرها مما يحقق له أهدافه الشعرية المرجوّة مراعيا هيبة وجلالة النصّ الأصلي وقد نجح الشعر الأموي في توظيف القصة القرآنية، ممّا يتلاءم سياق القصائد، لذلك ساهمت هذه القصص القرآنية في تشكيل رؤية جديدة و فتحت لها آفاقاً ممتدّة.

٣. ومن هذا المقال يتضح أنّ الشعر الأموي يدلّ على ثقافة إسلامية عميقة اكتسبها شعراؤه بفضل نشأتهم الإسلامية ومعرفتهم بالقرآن الكريم والحديث النبوي وتمثّل ذلك في إدراكهم لأمور العقيدة والعبادات وإلمامهم بالأحكام الفقهية و الحدود الشرعية واستلهامهم القصص القرآنية.

الهوامش:

١- على تداخل فيما بين هذه الأساليب المتنوّعة، فالإعجاز مثلاً في القرآن يشمل كل هذه الأساليب، والقَصص كثيراً ما يشتمل عليها كلّها، وأحياناً يشتمل على جملة منها.

٢- الكسعيّ: نسبة إلى كسع: حيّ من قيس عيلان و قيل هم حيّ من اليمن رماة. و الكسعيّ هذا يضرب به المثل في الندامة و هو رجل رام رمى بعد ما أظلم الليل عيرا فأصابه و ظنّ أنه أخطأه فكسر قوسه ثم ندم من الغد حين نظر إلى العير مقتولاً و سهمه فيه، فصار مثلاً لكل نادم على فعل يفعله (أنظر «اللسان» مادة كسع)، المبرد، ١٣٢٣هـ، ج١: ١٠٣.

٣- مقتبس من قوله تعالى: قال: "لاتثريب عليكم اليوم، يغفر اللّه لكم".

٤- لّما هدم الوليد بن عبد الملك كنيسة دمشق كتب إليه ملك الروم:«إنّك هدمت الكنيسة التي رأى أبوك تركها، فإن كان حقاً فقد خالفت أباك، وإن كان باطلاً فقد أخطأ أبوك».فلم يدر ما جوابه فكتب إلى الكوفة و البصرة و سائر البلدان أن يجيبوه، فلم يجبه أحد، فوثب الفرزدق فقال: أنا أبو فراس! أصلح اللّه الأمير، قد رأيت رأياً فإن يك حقاً فخذه و إن يك خطأ فدعه [و هو] قول اللّه

عز و جل: (وَ داوُدَ وَ سُلَيْمانَ إِذْ يَحْكُمانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَ كُنَّا لِحُكْمِهِمْ شاهِدِينَ فَفَهَّمْناها سُلَيْمانَ) (سورة الأنبياء، الآية: ۷۸- ۷۹).

۵- و كان السامريّ من قوم يعبدون البقر، و كان قد أظهر الإسلام، و في قلبه من حب عبادة البقر شيء، فابتلى اللّه به بني إسرائيل، فقال لهم السامري، و اسمه موسى بن ظفر: ائتوني بحلي بني إسرائيل، فجمعوا له، فاتخذ لهم منه عجلا جسدا، له خوار، و ألقي في فمه قبضة من تراب أثر فرس جبريل، فتحول عجلا جسدا لحما و دما له خوار و هو صوت البقر... و قيل: كان جسدا مجسدا من ذهب لا روح فيه، و كان يسمع منه صوت (الدميرى، ۱۹۹٤م، ج۲: ۱۵۳).

٦- النسيء: اللبن شيب بالماء، و أراد هنا البول.

۷- وَبار: قرية زعموا أنها من مساكن الجنّ.

۸- الجسد: الذي لا يعقل و لا يميز. و لا يميز قال اللّه تعالى: فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَداً لَهُ خُوارٌ.

۹- العذافر: هو العذافر بن يزيد التيمي، أحد أجواد العرب، و داره على سنخة بلعم، و العذافر: صفة من صفات الأسد.

۱۰- الدّجّال: الذي يخرج في آخر الزّمان و معه حشد عظيم.

۱۱- يأجوج و مأجوج: قوم ذكروا في القرآن الكريم و هم حشد عظيم العدد.

۱۲- عبّاد الجحافي خرج في اليمن فقتله يوسف بن عمر الثقفي.

۱۳- الحجر: اسم ديار ثمود.

۱٤- اللقوح: الناقة الحامل. غرام: هلاك.

۱۵- الذمام: ما إذا نقض يذمّ ناقضه كالحق و الحرمة و غيرهما.

۱۶- ابن عبدالعزيز: هو عمر بن عبدالعزيز، طرد الفرزدق من المدينة لإفحاشه.

۱۷- أشقى ثمود: عاقر ناقة صالح.

۱۸- رغا: صاح و صوت، و أصل الرغاء للإبل. و في المعاني الكبير ۲۱۵: «رغا جزعا بعد البكاء». و في اللسان (عرن) «رغا صاحبي عند البكاء».

۱۹- الرِّمْدِدُ بالكسر. المتناهي في الاحتراق و الدّقة، كما يقال ليل أليل و يوم أيوم إذا أرادوا المبالغة.

المصادر و المراجع

- *القرآن الكريم*.

- ابن أبي ربيعة، عمر، (١٩٥٢م). «***ديوان الأشعار***»، ترتيب وشرح:محمد محيى الدين عبدالحميد، القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى.

- ابن الأنبارى، أبوبكر، (١٤٢٤هـ.ق). «***الزاهر في معاني كلمات الناس***»، بيروت: دار الكتب العلمية.

- ابن حمدون، محمد بن حسن، (١٤١٧هـ.ق). «***التذكرة الحمدونية***»، بيروت: دارصادر.

- ابن عبد ربّه، أحمد بن محمد، (١٤٠٤هـ.ق). «***العقد الفريد***»، تحقيق: أحمد امين و آخرين، القاهرة: لجنة التأليف والنشر.

- ابن عساكر، علي بن حسن، (١٤١٥هـ.ق). «***تاريخ مدينة دمشق***»، بيروت: دارالفكر.

- ابن قتيبة الدينوري، (١٤٠٠ هـ.ق). «***عيون الأخبار***»، بيروت: دارالكتب العلمية.

- ابن كثير، أبوالفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر، (١٩٨٣م). «***قصص الأنبياء***»، بيروت: دار الفكر.

- ابن منظور، جمال الدين محمد، (١٩٧٥م). «***لسان العرب***»، بيروت: دار صادر.

- الأصبهاني، على بن الحسين، (٢٠٠٢م). «***الأغاني***»، القاهرة: مصوّر عن طبعة دار الكتب.

- بستانى، محمود، (١٣٦٦هـ.ق). «***دراسات فنية في قصص القرآن***»، مشهد: مجمع البحوث الإسلامية.

- البغدادي، عبدالله بن عمر، (١٤١٨هـ.ق). «***خزانة الأدب و لبّ لباب لسان العرب***»، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، القاهرة: مكتبة الخانجى.

- الجاحظ، عمروبن بحر، (١٩٧٥م). «***البيان و التبيين***»، تحقيق وشرح: عبدالسلام هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي.

- ــــــــــــــــ ، (١٩٩١م). «***البخلاء***»، بيروت: دار ومكتبة الهلال، ط٢.

- ــــــــــــــــ، (١٣٦٤هـ.ق)، «***البرصان و العرجان والعميان والحولان***»، بيروت: دارالجيل.

- جرير، بن عطية، (١٩٨٥م). «***ديوان جرير***»، شرح: محمد بن حبيب، القاهرة: دار المعارف.

- الجمحي، وهب بن زمعة، (١٩٧٢م). «***ديوان أبي دهبل الجمحي***»، تحقيق: عبدالعظيم عبدالمحسن، النجف: مطبعة القضاء.

- الدرّاجي، محمد عباس، (١٩٨٧م). «***الإشعاع القرآني في الشعر الأدبى***»، بيروت: عالم الكتب.

– الدميري،كمال الدين محمد بن موسى، (۱۹۹۴م). «***حياة الحيوان الكبرى***»، بيروت: دارالكتب العلمية.

– الرّاعي النميري، عبيد بن حصين، (۱۹۸۰م). «***شعر الرّاعي النميري***»، دراسة و تحقيق: نوري حمودي القيسي، بغداد: المجمع العلمي العراقي.

– زائد، علي العشري، (۱۹۹۷م). «***استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربى المعاصر***»، القاهرة: دارالفكر العربي.

– الشيخلي، بهجت عبدالواحد، (۲۰۰۱م). «***بلاغة القرآن الكريم في الإعجاز إعرابًا وتفسيرًا بإيجاز***»، أمّان: مكتبة دنديس.

– الطبري، محمد بن جرير، (۱۹۸۵م). «***تاريخ الرّسل و الملوك***»،تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم، القاهرة: دارالمعارف.

– العرجي، (۱۹۵۶م). «***ديوان الأشعار***»، تحقيق: خضر الطائي ورشيد العبيدي، بغداد: دارالمعارف.

– الفرزدق، همام بن غالب، (۱۹۷۳م). «***ديوان الفرزدق***»، عنى بجمعه: عبدالله الصّاوى، القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى.

– القطامى، عمير بن شييم، (۱۹۶۰م). «***ديوان القطامى***»، تحقيق: إبراهيم السامرائي و أحمد مطلوب، بيروت: دارالثقافة.

– القيسي، نوري حمودي، (۱۹۸۲م). «***شعراء أمويون***»، بغداد: مطبوعات المجمع العلمي العراقي.

– المبرّد، أبو العباس محمد بن يزيد، (۱۳۲۳هـ.ق). «***الكامل في اللغة***»، القاهرة: دار التقّدم.

المجلّات:

– رستم پور، رقيه، (۱۳۸۴ ه.ش). «***التناصّ القرآني فى شعر محمود درويش***»، طهران: مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية و آدابها.

– رواجبة، أحمد راضي، (۲۰۱۳م). «***أثر الخطاب الدّيني في تشكيل الصورة الفنية في شعر النقائض الأموية***»، مجلة بحوث إسلامية و إجتماعية متقدّمةٌ، العدد الثانى.

– نهيرات، أحمد، (۱۳۸۸ ه.ش). «***استدعاء الشّخصيات القرآنية في ديوان بدوي جبل***»، طهران: مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها، العدد ۱۱.